نشوء القصة وتطورها

المحاضرة التى ألقاها

الأستاذ محمود تيمور بك

فى قاعة يورت بالجامعة الأميركية

يوم الجمعة ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦

المطبعة السلفية

أهم مصادر المحاضرة :

مقدمة الحضارات الأولى (لغوستاف لوبون)

تاريخ أدبيات اللغة العربية (لزيدان)

حديث الأربعاء (للدكتور طه حسين)

تاريخ الادب العربي (للزيات)

المنتخب فى آداب العرب (لعطايا الدمشق)

صحيفة الجامعة المصرية القديمة (للسكرى)

مختصر الادبيات (لدرنكوتر)

العوائد والاخلاق المصرية (للين)

تاريخ آداب العرب (لهيار)

المعلومات العامة (لكاسل)

نشوء القصة وتطورها

سيداتى وسادتى :

أبدأ كلمتى بشكر الجامعة الأمريكية التى هيأت لى هـــذه الفرصة السعيدة فى الاجتماع بكم ، والتحدث اليكم . وقد اخترت أن أتكلم فى نشوء القصة وتطورها . والموضوع متشعب النواحى ، لايستطيع الانسان أن يوفيه حقه فى حديث نحرص أن لا يكون مملا أو طويلا . لذلك رأيت أن أقدم لحضراتكم إلمامة فى الموضوع ، أخشى أن تكون مخلة بالقصد .

وقد قسمت بحثى الى ثلاثة أقسام : الأول : نشوء القصة فى العالم . ومظهرها فى العصر القديم . والثانى : القصة فى الأدب العربى القديم . والثالث : القصة المصرية فى العهد الحديث

والآن أبدأ حديثى فأقول : نشوء القصص

كان الانسان الوحشى يعيش فى عالم كله ألغاز .

وكان عقله بطبيعة الحال قاصراً عن إدراك كنهها.
فالشمس التى كانت تشرق أمامه وتغرب فى روعة
وعظمة وفى نظام عجيب. وتلك الريح العاصفة التى
كانت تثور ثورتها الهوجاء فتهدم أكواخه وتقتلع
زرعه وتأتى على حيوانه. وهذه الجبال الشاهقة
ذات القمم البركانية التى تفيض بالحمم والنار، وتزلزل
بقوتها الخفية الدنيا وما عليها، فتقتل وتحرق
وتخرب فى قسوة عمياء. كل هذا وما ماثله وقف
أمامه الانسان الأول وقفة الحيرة والرعب، يتأمله
طويلا ويسعى جهده لتفهمه. واهتدى أخيراً إلى
حل قنع به واطمأن اليه. فمنح لعالم الجماد روحا
كروحه، وتخيله على غرار نفسه، يعيش كما يعيش:
يأكل ويشرب وينام. كان يرى فى الصخرة
المنحدرة من قمة الجبل - التى خلعتها الزلازل من
مكانها وأرسلتها كالقذيفة على كوخه فهدمته - آدمياً
مثله يناصبه العداء، ويستطيع أن يهلكه. رهب الريح

فحسبها روحا جهنمية غير منظورة قادرة على أن تنكل به وبزرعه وثمره . وكان يرى فى نومه أحلاماً غريبة عن أشخاص ماتوا . فتوهمهم أحياء مثله فى عالم آخر يعيشون ويأكلون ويتناسلون . فخشى من كان منهم قوياً مستبداً ، وقدم له القرابين ، وأتى له بالأطعمة . وذبح له العبيد ، ودفن معه النساء . كل ذلك تزلفاً إليه وطلباً لرضاه . وهكذا رأينا خيال هذا الانسان الأول يشتغل ويخترع ، فيفرض الفروض . ويفسر معضلات الحياة . فكان هذا العمل هو أول خطوة خطاها فى سبيل انشاء الأساطير ، وما الأسطورة سوى قصة خرافية صاغها هذا الانسان البدائى حسب ما أوحاه له خياله الضعيف .

وتطورت تلك الأساطير أو القصص الخرافية شيئاً فشيئاً ، فأخذت تخرج من دائرتها ، فعالجت سير الأبطال ووقائع الحروب . ولكن جو الخرافة كان دائماً يسيطر عليها ، وبدأ الناس يسمعون

قصص الغول وصاحب اللحية الزرقاء وما شابههما.
وما ذلك الغول إلا رمز للحيوان المخيف الذى ظل يفترس الانسان ويرعبه دهراً طويلا، وهل كان صاحب اللحية الزرقاء - شارب الدماء السفاح - إلا رمزاً لأمراء الاقطاعات الذين كانوا يسومون الأفراد أفظع أنواع العذاب؟

وبالرغم مما حوته هذه القصص من السخافة والعبث، فقد عبرت عن نفسية العهد الذى كتبت فيه. فهذه أمة مظلومة ترسف فى أغلال الاستعباد أرادت أن تفرج كربها، وتعبر عن آمالها ومطامعها، فاخترعت بطلا وهمياً نسجت من حياته قصة النصر والمجد.

ولما كانت الحروب أكبر عامل من عوامل تنازع البقاء وبقاء الأصلح. وكانت حوادثها بطبيعة الحال تملأ فراغ حياة الأفراد والأمم القديمة — جاءت بلاغتنا الأولى صفحة دامية مفعمة بالفظائع

والأهوال، ولكن وجدت بجانب ذلك بعض القصص التى تدعو الى السلام والمحبة. صاغها نفر من عباد الله الصالحين، هذا النفر الذى مجّ القتال وحياة الفزع والتشريد، وحنّ إلى حياة السكينة والطمأنينة والرحمة.

وكان الانسان يعيش قديماً - قبل اختراع وسائل المواصلات - عيشة عزلة وانعكاف. المدن يفصل بعضها عن بعض تلك المسافات الشاسعة، والنظم الاجتماعية والسياسية تفرق بين طبقات الأمة الواحدة، ففى البلد الواحد تكاد تعيش كل طبقة بمعزل عن الأخرى. فالأشراف فى معاقلهم، والعامة فى أكواخهم، لا يعرف أحدهم عن صاحبه إلا النزر القليل. وهكذا الحال بين الأمم، فما يجرى فى أحدها من حوادث لا يصل الى جارتها إلا بشق الأنفس.
أضف الى ذلك أن وسائل التسلية كانت محدودة، فنشأت بحكم الضرورة طائفة من الناس أخذت على

عاتقها أن تسد تلك الثغرة ، فتقدم لأفراد الشعب
وأمرائه كل مايرغب فى سماعه من حكايات وأخبار
كانوا يصوغونها شعراً وينشدونها على نغمات
الآلات الموسيقية ، ويلقونها ممثلين حوادثها تمثيلا ،
وذلك ليعظم وقعها فى القلوب .

هؤلاء هم الشعراء الرحل أو الشعراء المرتزقة . كان
الواحد منهم يجمع فى نفسه شخصية الشاعر والقصصى
والملحن والمغنى والممثل ، ولا نغالى إذا قلنا والمهرج
أيضاً . ولم يكن هم هذا الشاعر إلا إرضاء جمهوره على
حساب الآخرين . فهو اذا دخل قصر الأمير سرد له
وقائع الأمراء فى بطولة وشهامة وكرم نادر المثال ،
وهو اذا ظهر فى حلقة الشعب انبرى يروى له فضائح
القصور ، وانهال على الأمراء يغمرهم بسخريته اللاذعة ،
ويلصق بهم من العيوب مايريد له هذا الشعب أن يلصق
وكنا نرى فى مصر - منذ عهد قريب - هذا الصنف
العجيب من الشعراء المهرجين ، كانوا يروون وقائع

أبى زيد والزناتى على الربابة فى قهوات سيدنا الحسين، وبالأخص فى شهر رمضان. ولكن الفونوغراف أولا ثم الراديو أخيراً أجهزا عليهم، فلم نعد نرى لهم أثراً

وكان هذا الفنان البدائى يأخذ الأغانى من أفواه الحفاظ، فيزيد عليها، أو يحذف منها، أو ينسج على منوالها؛ فهو لم يكن بالحافظ الأمين على هذا التراث الأدبى، ولا هو أيضاً بالمبتكر. وعلى توالى الزمن كانت تتجمع هذه الأغانى، فيأخذها فنان عبقرى، وينظمها نظما جديداً فى ملحمة قوية، يتغنى فيها بتاريخ أمته، محدثاً الناس عن أبطالها، راويا لهم حوادثها الرائعة. ومن ثم ظهرت الملاحم، وهى كثيرة، أشهرها الالياذة والأوذيسة المنسوبتان لأبى الشعراء هوميروس الأغريق، والأنياد لشاعر الرومان فرجيل

ويكاد يكون لكل أمة عريقة فى الحضارة ملاحم

من هـــذا الصنف . فللهند المهابهاراتا ، وللفرس الشاهنامه ، وللطليان كوميدية دانتى الالهية . وللفرنسيين أغانى رولان .

فالالياذة هى قصة الحرب التى دامت عشرين عاماً بين طروادة وممالك اليونان ، أثارها اختطاف باريس أحد أمراء طراودة لهيلانه زوجة ملك اسبارطة اليونانية . أتى فيها هوميروس بأوصاف دقيقة خلابة عن الوقائع التى نشبت بين الفريقين ، وما تخللها من بطولة وحب ووفاء وشهامة . كل ذلك فى خيال واسع ، وشاعرية فياضة . والمعروف أن الألياذة ليست عمل فرد واحد ، بل هى مجموعة قصص نظمت وجمعت بواسطة الشعراء الرحل ، نخلتها الأذهان التى كانت تتناقلها على ممر السنين ، فخرجت حثالتها ومكثت زبدتها ، وجاء هوميروس ، وكان من فئة هؤلاء الشعراء ، ولكنه امتاز عنهم بعبقريته الفذة ، فتناولها بالصقل والتهذيب والانشاء

حتى أخرجها للناس درة من درر الأدب العالمى

أما الأوذيسة فهى متممة للألياذة ، ومنسوبة للمؤلف نفسه ، سرد فيها قصة يوليسيس ، وكيف ضل طريق البحر وهو عائد مع رجاله الى اليونان بعد حرب طروادة . وقد ذكر بعض النقاد أن هذه القصة ليست من عمل هوميروس ، لانها تختلف فى الاسلوب عن سابقتها الالياذة . وأن الروح التى تسودها روح نسائيـــة ، فبينما نرى الالياذة قد أكثرت من وصف المعارك الوحشية والمناظر القاسية ، نرى الاوذيسة وقد تجلى فيها عراك المرأة وحيلتها ودهاؤها . واسلوبها عليه مسحة من اللين والمسالمة . ولكن بعضهم يقول ان الأوذيسة من عمل هوميروس ، غير أنه لم ينظمها إلا فى اخريات ايامه ، فجاءت صورة لذهن الشيخ الهادىء الذى يعمل فى هوادة وروية . بعكس الالياذة ، فقد كتبها وهو فى ريعان الشباب والفتوة ، وذهن الشباب قوى جرىء

لايعرف اللين والرحمة ، فجاءت مفعمة بأهوال الحروب وفظائع البطولة

والأنياد لشاعر الرومان فرجيل نحا فيها نحو هوميروس، وجعل لحوادثها صلة بالألياذة ، وقد نظمها الشاعر تمجيداً لعائلة أغسطس قيصر امبراطور الرومان فى ذلك العهد. ومما تمتاز به هذه الملحمة عن سواها أن الآلهة قد لعبت فيها دوراً أكثر خطورة وأبعد أثراً مما لعبته فى الملاحم الأخرى

والمهابهاراتا الهندية ، والشاهنامة الفارسية ملحمتان عظيمتان تحويان صفحات رائعة من تاريخ ملوك كل من الأمتين .

أما كوميدية دانتى الالهية ، فهى قصة حلم خيالى للشاعر ، وصف فيه زيارته للجحيم والمطهر والفردوس ، وما قابله فيها من أناس مشهورين فى التاريخ والأساطير ، روى قصصهم وذكر أسباب وجودهم فى هذه الأمكنة . والملحمة

ملآى بأوصاف رائعة لأنواع العذاب، وألوان السعادة والهناء، فى العالم الآخر. كل ذلك فى اسلوب أخاذ، ودقة فائقة فى رسم الشخصيات، يكسو هذا نظم ساحر وخيال فياض. وكان الشاعر يحب فتاة تسمى «بياتريس» حباً لم نسمع بما يماثله فى قوته وغرابته، فقد بدأ حبه لها وهى طفلة فى التاسعة من عمرها، وقيل انه لم يرها إلا مرات قليلة، وأنها جهلت حبه وقد تزوجت بياتريس ثم ماتت، فكان لهذه الفاجعة الأليمة أثرها فى نفس الشاعر، فكتب ملحمته تمجيداً لها، نخلد بذلك اسمها على مر الأجيال. ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام التشابه فى الفكرة والموضوع بين كوميدية دانتى ورسالة الغفران للمعرى. ولا يبعد أن يكون الشاعر الايطالى قد تأثر من بعض النواحى برسالة المعرى، فقد ازداد اتصال الغرب بالشرق على أثر الحروب الصليبية التى بدأت عام ١٠٩٩ ووفاة دانتى كانت عام ١٣٢١ م

أما أغانى رولان الفرنسية فهى قصة الحرب التى كانت ناشبة بين العرب والفرنسيس أيام فتح الأندلس . وبطلها رولان بطل خرافى من جنود شارلمان .

هذا شان الملاحم . أما القصص النثرية الكبرى فنذكر منها اثنتين ، الأولى : دون كيخوتى لسرفانتى الأسبانى (وفاته عام ١٦١٦ م) والديكاميرون أو الأيام العشرة لبوكاتشيو الايطالى (توفى عام ١٣٧٤ م) . أما الاولى فهى تهكم بأبطال الفروسية ، ولكنها فى الوقت نفسه قصة إنسانية عالمية ، تصف وصفا أخاذاً هذه الشخصية المريضة المحبة ، شخصية الرجل الذى يعيش فى عالم من وحي خياله ، يطلب العظمة والمجد ، ويبت فى الامور من فوره لا يطلب تسويفاً ولا تأخيراً . وقد وضع بعض النقاد شخصية دون كيخوتى مع شخصية هملت لشا كسبير فى مستوى واحد . وان كانت

كل من الشخصيتين على نقيض الاخرى . فهملت ذاك الأمير البارد الطبع المتردد المثقل بأحمال الثار ، لا يخطو خطوة إلا بعد تفكير ممض وحساب معقد، وربما رفع قدمه ثم أعادها حيث كانت . وقد قيل ان العالم يتكون من شخصيتين : هملت ودون كيخوتى، كلاهما مريضان ، الأول يمثل التردد والخوف ، والثانى يمثل الاقدام والتهور . فالعالم إذن وفق هذه النظرية مكون من مرضى - مرضى العقول ، أى مجانين ، وليس هذا غريباً ، فقد قال الشاعر العربى :

وكلّ الناس مجنون ولكن
على قدر الهوى اختلف الجنون

أما الديكاميرون لبوكاتشيو ، فهى مجموعة من القصص الانتقادية اللاذعة ، كشف فيها صاحبها الستار عن فضائح عصره، وأتى فى بعضها بأوصاف منافية للآداب . وقد تفوق فى أسلوبها على جميع كتاب عصره ، واشتهر أمر هذا الكتاب شهرة

كبيرة، حتى قيل انه كان مصدر الهام لكثير من الكتاب أمثال شاكسبير وجوتا وشوسر ولنسنغ

وكان ماركوبولو (الذى توفى سنة ١٣٢٤ م) قد رحل قبل ذلك الى آسيا، ومكث فى بلاط كوبلاخان امبراطور المغول عشرين عاما عاد بعدها الى وطنه محملا بكنوز الشرق، وأخذ يروى لأهل وطنه البندقية رحلته العجيبة فى تلك البلاد النائية التى لم يكن يعرف عنها الناس شيئاً مذكوراً فى ذلك الوقت. وكانت هذه الرحلة خليطا من الحقيقة والخيال، تفنن فى روايتها صاحبها تفنناً جعل لها سحراً وتأثيراً على النفوس، فأخذ المؤلفون يحذون حذوها فى كتابة قصصهم. ومن ثم انتشر هذا النوع الجديد الملىء بالاخطار والمحوط بالغرائب والأسرار

وكان العالم قد سار فى طريق الاكتشافات فظهر كولمبس وفاسكودى غاما وماجلان وغيرهم من مشاهير المكتشفين الذين خاطروا بأرواحهم فى

سبيل تحقيق فكرتهم . وقامت الدول تتنافس فى البحر بأساطيلها وعلى رأسها المكتشفون والمستعمرون يسعون فى الحصول على الثروة من طريق التجارة أولا ثم الاستعمار ثانيا، فقويت روح المخاطرة بين الناس، ورأينا أثر ذلك كله فى أدب العصر . فقرأ الناس روبنسون كروزو لدانيل ديفو كتبها مؤلفها على أساس قصة واقعية لبحار يدعى سكلرك، قضى أربع سنوات وحيداً فى جزيرة جوان فرناندز، وكتب سويفت رحلات جلفر الى بلاد الأقزام والى بلاد العمالقة . وهذان الكتابان أصدق صورة للعصر الذى كتبا فيه . وكيف كانت أخطار البحار واكتشاف البلاد المجهولة تشغل عقول الناس وتؤثر فى نفوسهم

ولما انتهت الحروب الصليبية، كان الاتصال بين الغرب والشرق قد قوى واشتد، وظهرت له نتائج بعيدة الخطر، منها ماهو مادى اقتصادى، ومنها ما

هو عقلى أدبى . وقد ذكرنا فى موضع سابق احتمال تأثر دانتى فى كوميديته الالهية برسالة الغفران للمعرى .

***

والآن وقد تحدثنا فى ايجاز عن نشوء القصة والقصص الغربى فى الأدب القديم ، نريد أن نعرض أمامكم صورة للقصص العربى .

أول مايصدم الباحث فى الأدب العربى هو تفاهة القصة ، وقلة ما كتب فيها ، وعدم عناية العربى بها . ولهذا أسباب سنبسطها فى حينها .

والقصة فى البلاغة العربية قسمان : قسم موضوع . وقسم منقول ، أو بعبارة أخرى قصص مؤلفة ، وقصص مترجمة . ومن النوع الأول : قصص عنترة ، والأميرة ذات الهمة ، ومجنون ليلى ، وسيرة بنى هلال وما ماثلها ، ومن النوع الثانى : كتاب كليلة ودمنة ، وألف ليلة . ومعظم القصص الموضوعة لها أصل تاريخى ، فأشخاصها أبطال

حرب أو حب حقيقيون . وحوادثها الرئيسية التى
بنيت عليها حوادث وقعت فى التاريخ ، ولكنها
تغيرت بمرور الزمن عندما تناقلتها الألسن بالرواية ،
فكان الراوى يتناول القصة من مصدرها ويرويها
للناس حسب هواه ، فكان راوياً ومؤلفاً فى الوقت
نفسه ، ومعظم هذه القصص مجهولة المؤلف . أما
التى تحمل اسم مؤلف معين فانتسابها اليه كانتساب
بعض الملاحم القديمة لأصحابها . فالمؤلف لم يكن
سوى جامع لأخبار هذه القصة وراويها بعد تنقيح
وتعديل ، وكثيراً ما كانت تنسب هذه القصص
لرواة مشهورين أمثال الأصمعى ، ترويجاً لها
وإعلاءً لقيمتها ، والأصمعى وغيره برىء منها

ومعظم القصص العربية الموضوعة عديمة القيمة
لغة وموضوعاً وتأليفاً ، فقد وضعت للتسلية فحسب ،
وكتبت بأسلوب مهلهل يرضى العامة قبل الخاصة وفقد
دعت الحالة السياسية فى كثير من الأحيان ـ وخصوصاً

فى الأزمنة المتأخرة ـ إلى أن يفكر الأمير او السلطان
فى شىء يلهى به شعبه ، ويحوله عن عمل يريد القيام به ،
أو أمر يريد اخفاءه ، ويخشى انتقاد الشعب له . فيكلف
أحد الكتاب تأليف قصة مسلية ذات حوادث
غريبة ، فيؤلفها ، أو بالأحرى يجمعها من مختلف
الأفواه أو الكتب ، ويصوغها صوغا جديدا بعد
تهذيب وصقل يناسب المقام ، ثم يعرضها على الجمهور
لتسرق من وقته وتحول من تفكيره . فيخلو الجو
للأمير . كما حدث ذلك عند ما أمر الخليفة العزيز بالله
الفاطمى الشيخ يوسف بن إسماعيل بأن يضع للناس
قصة يلهيهم بها عن التحدث بريبة حدثت فى بيت
الخلافة كانوا قد لغطوا بها كثيراً ، فجمع الرجل
أخبار عنترة ، وصاغها فى قالب قصصى ، ثم نسخها
وجعل ينشرها على الناس أجزاء صغيرة ، فأفلح
فى مهمته

وعلى الرغم مما فى هذه القصص من ضعف

التأليف، وخلط الحوادث، وركاكة الاسلوب، فقد نجحت الى حد ما فى تصوير المجتمع العربى فى العصر الجاهلى والاسلامى - المتقدم والمتأخر - ولو كان مؤلفو هذه القصص قد أجادوا تأليفها وصياغتها، وعنوا بتهذيبها لتكون أقرب الى الفن الصحيح مما هى عليه الآن، ثم جمعت بعد ذلك فى سفر واحد: لكان هذا السفر للآداب العربية بمثابة الالياذة

أما القصص المنقولة، فمنها ما نقل من الأصل فى أمانة، ككليلة ودمنة. ومنها ما لحقه التغيير - اما بالاضافة أو الحذف والصقل والتهذيب حتى كاد يصبح غريباً عن أصله - كألف ليلة وليلة

والآن نريد أن نتحدث عن الأسباب التى دعت العرب لإهمال القصة، وقد لخصناها فى النقط الآتية:

أولا: قلة الأساطير. ويعود ذلك الى تأثير البيئة والأقليم فى عقلية العربى

فلا يخفى أن للأقاليم تأثيراً قوياً على من ينشا ويعيش فيه . فصاحب البلاد الجبلية ذات الغابات المخيفة ، والكهوف الرهيبة ، والأنهار العظيمة ، وما تحويه من وحوش وجوارح ، يختلف مزاجه عن ساكن السهول المنبسطة ، حيث المعيشة هادئة والنفس مستريحة . والمرء الذى ينشأ فى ذلك الجو القاسى بزمهريره وثلوجه ورياحه ورعده وصواعقه ، يختلف اختلافاً بيناً عن ذلك الذى يعيش فى جو سماؤه صافية وشمسه مشرقة . فالانسان ابن بيئته . فلا غرابة إذاً اذا وجدنا العربى غير عميق فى تخيله ، وهو الذى استوطن الصحراء المجدبة ، وعاش عيشة بدوية لايعرف له مسكناً إلا بيوتاً من الشعر ، ثروته ناقته أو عنزته ، دائم الارتحال يسعى وراء المرعى ، قنوع بالقليل ، لاتكتنفه غير الرمال الشاسعة . فلذلك نشأ قليل الأساطير . ومن ثم نشأ قليل القصص ، لاتصال الثانية بالاولى كما أسلفنا القول ، واذا كانت العبادات

الأولى هى من نتاج الأساطير ، فهمنا كيف كانت ديانة العرب الاولى تافهة سطحية ، بالغةغاية السذاجة. فقد قيل انهم احتاجوا الى إله يعبدونه . فعثروا فى الشام على الصنم « هُبل » فأخذوه وألهوه . ومن أغرب ما يروى عن آلهة الجاهلية أن العربى كان يصنع إلههمن العجوة ، فاذا جاع أكله . فهل سمعنا بإله يمتهن هذه المهانة ، لولا أنه قليل المهابة فى قلوب عُباده؟

وعلى عكس ذلك نجد التخيل عند الهندى قويا ، وهو الذى عاش فى بيئة رهيبة ، أنتجت له أساطير رائعة ، وديانات ذات فلسفة عميقة ، وآلهة جبارة بمعابد نخمة عظيمة

ثانيا ـ اعتزاز العربى بآدابه

ان العرب كانوا يعتزون بآدابهم، ويفاخرون بها ، معتقدين أنها متفوقة على باقى الآداب الاخرى . فلم يعتنوا بدرس تلك الآداب ، ولم يترجموا غير القليل منها ، بل انهم وجهوا اهتمامهم إلى ترجمة الكتب

العلمية والفلسفية من اليونانية والفارسية

وليس اعتزازهم بآدابهم وحده هو الذى منعهم من ترجمة روائع الكتب الأدبية من الادب الفارسى واليونانى ، بل لأنهم وجدوا هذه الآداب تزخر بالأساطير ، أساطير الآلهة . فلم يقربوها خشية أن يكون لها تأثير سىء على عقائد الناس . كذلك أهملوا كثيراً من الفنون الجميلة ، إذ وجدوا فيها ما يذكرهم بأصنام الجاهلية التى عمل الاسلام على محوها . ومن ثم لم نجد للتمثيل والتصوير والنحت أثراً يذكر فى الفنون والآداب العربية . أما الموسيقى ، وهو الفن الذى لم يكن يخشى منه على العقيدة الدينية ، فقد رأيناه يتبوأ مكانة عالية أثناء ازدهار المدنيـة الاسلامية . فبعد أن كان فى الجاهلية نوعا من أنواع الحداء ، رأيناه فى الدولة العباسية فناً قائمـا بذاته مصبوغا بالصبغة العربية ، له أصول مقررة ومذاهب متعددة . فضلا عن آلات الطرب العديدة التى برع فى استعمالها المغنون ؛

وجلها - إن لم يكن كلها - مأخوذ عن الفرس. وحسبك أن تعرف أن كتاباً كبيراً من أعظم كتب الأدب العربى ألفه صاحبه عن « الأغانى » ذكر فيه الشعر الذى كان مادة للغناء ، وضبط الألحان التى كان يغنى بها هذا الشعر . ولكن ظلت الموسيقى العربية بالرغم من ذلك كله بسيطة ساذجة كالنفس العربية لا تعبر عن مختلف خوالج النفس الانسانية . وهذه السذاجة ظاهرة طبيعية نلمسها فى جميع الفنون الجميلة العربية . يدلنا على ذلك فن العمارة الاسلامية ، فقد استمد اصوله أولا من الفنين البيزنطى والفارسى ، واستطاع فيما بعد أن يستقل بنفسه ، ويوجد له طابعا خاصا به ، ولكنه ظل فنا بسيطا قوامه الزخرفة الهندسية

والآن نريد أن نتحدث عن أشهر القصص العربية . ولنبدأ بالقصص الغرامية فى عصر بنى أمية ، تعتبر هذه القصص أحد أركان الفن القصصى

العربى. وهى – بالرغم مما فيها من خلط فى التاريخ، ومغالاة فى الوصف، ونقص فى التأليف – تحتوى على شىء من مقوّمات القصة الفنية

وأهم هذه القصص ثلاث: مجنون ليلى. وجميل بثينة، وقيس لبنى. وأبطالها مذكورون فى التاريخ، ولكن منهم من اختلف فيه كالمجنون (قيس بن الملوّح) فقد اختلف المؤرخون فى شخصيته اختلافا كبيراً يدعونا إلى الشك فى وجوده. أما جميل بن معمر – جميل بثينة – وقيس بن ذريح – قيس لبنى – فليس هناك ما يدعو الى الشك فى وجودهما وان كنا ننكر شخصيتيهما على المثل الذى رسمه لنا المؤلفون. ويلاحظ أن هذه القصص الثلاث قد اشتقت من ينبوع واحد هو ينبوع البادية، وعالجت موضوعا واحداً هو الحب العذرى، فبطلها دائما بدوى يعيش عيشة الفطرة، ويتحلى بصفات كريمة منها الكرم والشمم والعفة والشهامة. وكل هذه الصفات موطنها البادية. أما حبه

لحب عفيف طاهر ، ملك حياته وعقله ، محفوف بالمصاعب والتضحيات ، وتكاد تشترك القصص الثلاث فى الحوادث نفسها التى بنيت عليها القصة ، فهناك حب مبرّح بين اثنين ، ثم ظروف قاهرة تحتم عليهما الفرقة ، ثم موت كموت الشهداء . ولكن هناك بعض الاختلاف فى التفاصيل ، وخصوصا فى قصة قيس لبنى التى يمكننا أن نعتبرها أقرب القصص الثلاث الى الفن الصحيح ، فقد عالج فيها مؤلفها أو مؤلفوها موضوع الغيرة ، غيرة الأم من زوج ابنتها

أما ظهور هذه القصص فى عصر واحد ، وعلى النمط الذى ذكرناه آنفا ، فيعود إلى ما يأتى :

ينقسم سكان الحجاز الى قسمين : قسم يسكن البادية ، وقسم يسكن الحضر . وقد نافس الحجازيون أمراء بنى أمية وحاربوهم ، وكادوا يقوضون ملكهم ، ولكن شاءت الأقدار أن يستتب الأمر فى النهاية لمعاوية وخلفائه ، فعاد أهل الحجاز الى موطنهم ،

واستقروا فيه ، واعتزلوا - مضطرين - حياة الكفاح والسياسة . فمن كان منهم من أهل البادية ، عاش عيشة السذاجة والفقر ، ولكن قلبه كان عامرا بالايمان الصحيح ، ومتى اجتمع الفقر والايمان والفراغ نشا الزهد والتصوف . فرأينا موجة الصوفية تعم بادية الحجاز . وأخذ الشعراء منهم يعبرون عن احساسهم بأشعار غزلية كلها مُثل عليا فى الطهر والعفاف والتضحية . وأخذت تحاك حول هذا الشعر أنواع من القصص أبطالها مزيج من الحقيقة والخيال ، ومن ثم ظهرت قصة المجنون وما ماثلها

ولا يمكننا أن نغفل بجانب هذا النوع من قصص الحب العذرى نوعاً آخر - ولكنه أقل أهمية من سابقه - هو قصص الحب الخليع ، وامام هذا الفرع عمر بن أبى ربيعة الشاعر ، مبدع الأدب المكشوف فى ذلك العصر . والسبب فى ظهوره يعود الى حياة الترف والغنى مجتمعة مع حياة البطالة

الاضطرارية التى كان يحياها أهل الحضر من زعماء الحجازيين وأمرائهم . وكان الأمويون فى ذلك يتبعون مع هؤلاء الزعماء سياسة المال، فكانوا يغدقون عليهم العطايا ، ويقررون لهم المرتبات الضخمة ، ولكنهم كانوا بجانب ذلك يُحرمون عليهم الاشتغال بالسياسة ، ويبعدونهم عن مناصب الدولة . وكانت السبايا من الفارسيات والروميات والتركيات وما ماثلهن ، قد ملأن بيوت هؤلاء الأمراء الحضريين من سكان الحجاز على أثر الفتوحات العظيمة التى تمت فى سرعة تدعو الى الذهول ، فانتقل مع هؤلاء السبايا — وكان معظمهن من البيوتات الكبيرة — الشىء الكثير من مدنية الأمم المحكومة ، فاجتمع عند أهل الحضر من الحجازيين الثراء والترف والمرأة مع البطالة الاضطرارية . فنتج عن ذلك الاسراف فى اللهو ، ومن ثم جاء الأدب المكشوف صورة لهذه البيئة الجديدة

ننتقل من ذلك الى نوع آخر من الأدب القصصى، يسمى قصص الحرب والبطولة، أو قصص العوام. ومنها عنترة، والزير سالم، وبنى هلال، والبطال (القصة المعروفة بالأميرة ذات الهمة) والبراق التى منها حرب البسوس. وسيف بن ذى يزن وفيروز شاه، وما ماثلها

وقد سميت بقصص الحرب والبطولة، لأنها تروى لنا بعض وقائع الحرب فى العهد الجاهلى وما يليه، وتتحدث لنا عن شخصيات اشتهرت بالبطولة فى الحروب كعنترة. أما تسميتها بقصص العوام فلأنها اشتهرت بين العامة أكثر من انتشارها بين الخاصة. أو بالأحرى لأنها كتبت للعامة

وهى قصص تعتمد فى هيكلها على حوادث التاريخ، ولكنها مشحونة بالأغلاط التاريخية التى لا يقبلها العقل السليم. أما نشأة هذه القصص فهى نشأة طبيعية بحتة، فان الناس فى كل أمة يحبون البطولة والحرب،

يروون وقائعها مفتخرين بما حازوه من نصر فيها، ممجدين أبطالها. وكانت حياة العربى حياة نزاع وحرب، فقبائله دائما فى شجار، وأخبار بطولته يزخر بها تاريخه. ومن ثم أخذ الرواة يروون للناس هذه الحوادث التاريخية، ثم يضيفون إليها من عندهم ما أرادوا. وأخذت القصص تحاك حول هذه الأخبار شيئاً فشيئاً. الى أن انتهت الى الحالة التى هى عليها الآن

وأشهر هذه القصص عنترة، وقد عنى بها الافرنج فصاغ منها أحدهم رواية قصصية بالفرنسية، وهى طبعاً غير الرواية التمثيلية التى ألفها نظماً بالفرنسية الأديب السورى شكرى غانم، ومثلت على المسارح الفرنسية. ونالت صيتاً بعيداً

وقصة عنترة العربية أرقى من أخواتها لغة وشعراً. تصور حياة العربى فى العهد الجاهلى، وتروى لنا شيئاً من حروبه وما امتاز فيها من أبطال، وتصف

لنا شجاعته وكرمه وحبه ووفاءه وتضحيته . والقصة من الوجهة التاريخية غير موثوق بها ، ففيها كثير من الخلط والغلط ، وهى فوق ذلك مفككة الحوادث ، لا رابطة تربط بعضها ببعض . ولكن نرى فيها بجانب ذلك بعض مواقف روائية رائعة . منها الموقف الذى يموت فيه عنترة بسهم مسموم فعندما يشعر بدنو منيته ، ويخشى على جيشه الهزيمة ؛ يسرع الى جواده فيمتطيه ، ويعتمد على رمحه ، ثم يموت . ويراه العدو من بعيد وهو ممتط فرسه معتمد على رمحه . فيظنه حياً يدير رحى القتال ، فيرهبه ولا يجسر على الدنو منه

والآن ننتقل الى قسم آخر من القصص الموضوعة ، ونسميه بالقصص العلمية والفلسفية . وهو ليس قصصاً بالمعنى المعروف ، لأن النزعة العلمية تسوده . فالغرض الذى رمى اليه المؤلف فى كتابة هذه القصص هو عرض فكرته الفلسفية أو نظريته

العلمية . ومن ثم كانت الصياغة القصصية فى المرتبة الثانية . وجميع هذه الكتب ألفت بلغة سليمة ، فمؤلفوها من العلماء ، وقد كتبوها للخاصة من الناس . وأشهر هذه القصص : قصة حى بن يقظان ، والانسان والحيوان ، والصادح والباغم ، ورسالة الغفران ، والمقامات .

فحى بن يقظان – وهو لابن طفيل – أظهر فيه مؤلفه شخصية عجيبة هى أقرب الشخصيات الى (طرزان) فهو ابن الغابة وربيبها . عاش على الفطرة ، وأخذ العلم من الطبيعة . والطريف فى هذه القصة تلك النظريات العلمية التى وفق حى بن يقظان الى اكتشافها فى التشريح وغيره . ولا يستبعد أن يكون ديفو مؤلف روبنسون كروزو قد تأثر بفكرة مؤلفنا العربى ، فنسج على طريقته فى وصف الحياة الفطرية .

أما كتاب الانسان والحيوان فقد ألفه

(اخوان الصفا) فى القرن الرابع عشر الهجرى ، وجعلوه ذيلا لرسائلهم المشهورة ، وهو يحوى مناظرات بين الحيوان والانسان ، وقد حذا فيه مؤلفوه حذو كليلة ودمنة فى وضع الحكمة على ألسنة الحيوان ، ولكنهم لم يقتصروا على الحكمة . بل خاضوا فى العلوم الطبيعية ، وتكلموا عن مميزات الانسان والحيوان . والكتاب يمتاز بتلك الصبغة العلمية الواضحة ، تلك الصبغة التى اشتهر بها الاخوان فى رسائلهم

أما كتاب الصادح والباغم فهو يماثل قصص لافونتين الفرنسى ، وقد قال عنه صاحب كشف الظنون (انه منظومة على أسلوب كليلة ودمنة فى ألفى بيت لابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤ هجرية فيه قصائد وأراجيز) والظاهر أن كتاب كليلة ودمنة قد ترك أثراً بعيد المدى فى الأدب العربى ، فقد نقله كتاب كثيرون غير ابن المقفع .

ونظمه عدة شعراء من بينهم ابن الهبارية نفسه فى كتاب سماه نتائج الفطنة فى كتاب كليلة ودمنة . ثم نحا نحوه فى كتابه الذى نحن الآن بصدده . وقد رأينا كيف أن اخوان الصفا قد ألفوا كتابهم الانسان والحيوان متأثرين بكليلة ودمنة . ثم جاء ابن عرب شاه المتوفى سنة ٩٠١ هجرية فألف كتابه فاكهة الخلفاء . نحا فيه أيضا نحو كليلة ودمنة فى كثير من قصصه . نذكر ذلك لنبين الى أى حد تأثرت قصصنا العربية الموضوعة التى عنيت بالحكمة والفلسفة والعلم بكتاب كليلة ودمنة ، وهو من الكتب المنقولة عن الأدب الهندى .

والآن نريد أن نتحدث عن المقامات :

حينما اتسعت المملكة الاسلامية على أثر الفتوحات ، ودخلت فى الأمة العربية أجناس مختلفة . أخذ الدخيل من الكلمات والاصطلاحات يغير على اللغة الفصحى ، فخاف جماعة اللغويين والنحاة أن

يصيب اللغة الوهن والفساد. فقاموا ينبهون الناس الى الخطأ ويرشدونهم إلى الصواب، وبدأ الكتاب يحسون بضعفهم أمام هجمات اللغات العامية، فحرصوا جهدهم أن يكتبوا صحيحا، واندفعوا ينتقون الكلمات انتقاء، ويتخيرون الأسياب تخيراً. وتمادوا فى ذلك كثيراً، وقامت المنافسة بينهم. كل كاتب يريد أن يتفوق على زميله فى الانشاء، فاهتموا بالعرض دون الجوهر. ومن هنا شاعت المحسنات اللفظية، وظهرت قواعـــد جديدة فى البلاغة تعتمد على التزويق والبرقشة أكثر من اعتمادها على الفكرة. وغالى الكتاب فى السجع، حتى أصبح كل ما يكتبونه مسجوعا. وتعشقوا الألفاظ المهجورة والأساليب الغريبة، ليؤثروا بها على القراء، ويظهروا لهم مبلغ تضلعهم فى اللغة. فى ذلك الجو نشأت المقامات، وهى شبه أقاصيص يتخذ لها المؤلف بطلا وهميا يروى على لسانه ما شاهده من حوادث وما سمعه من أخبار.

والمقامة ليس لها أى قيمة قصصية، وان كانت وضعت فى القالب القصصى، لأنها خلت من أهم مميزات القصة وهو الحادثة أو العقدة. كذلك خلت من الشخصيات الروائية الممتازة. وتحليل نفسياتها، ودرس أخلاقها. والغرض الذى رمى اليه مؤلف المقامة هو عرض الموعظة أو النكتة المستملحة والألغاز اللغوية والنحوية، كل ذلك فى لغة ألفاظها جزلة غريبة، وأسلوب كله مسجع. وقد نشأ هذا الفن الجديد من اتصال العرب بالفرس، وتأثرهم بحضارتهم التى شملت فيما شملته الآداب. وأول من برع فى كتابة المقامات بديع الزمان الهمذانى (المتوفى عام ٣٩٨ هـ) ثم اشتهر بعده الحريرى (المتوفى سنة ٥١٦ هـ) ثم الزمخشرى (المتوفى سنة ٥٣٨ هـ). وانتشر هذا النوع انتشاراً كبيراً حتى كان لكتابنا العصريين أثر كبير فيه. فقد كتب الشيخ ناصيف اليازجى (المتوفى عام ١٨٧١ م) كتابه مجمع البحرين،

وهو مجموعة مقامات على نسق مقامات الحريري والهمذانى . وكتب أحمد فارس الشدياق كتابه الفارياق وهو متأثر بجو المقامة تأثراً عظيما . وظهر فى العصر المتأخر كتابا عيسى بن هشام لمحمد المويلحى وليالى سطيح لحافظ ابراهيم ، وهما على نمط المقامات ، ولكن الاول تفوق على سواه من الكتب المقامية ، إذ خرج فيه عن جو المقامة واقترب من القصة الفنية بما عالجه فيه من شخصيات وأوصاف وحوادث .

أما رسالة الغفران للمعرى . فلا يبعد أن يكون مؤلفها قد كتبها متأثراً بجو المقامة . فقد توفى المعرى سنة ٤٤٩ ه أى بعد وفاة الهمذانى باحدى وخمسين سنة . ورسالة الغفران تفضل المقامات بمميزات عدة ، ولعل ذلك عائد الى أن المقامة قد تمكنت من فكر المعرى واستقرت فيه ، ولكنه تمثلها وأخرجها صورة أخرى حية ناضجة . وفى الرسالة كثير من السجع ، والأشعار العويصة المعانى الغريبة الألفاظ ،

وفيها نقد لشعراء الجاهلية والاسلام وأدبائهما وفيها ذكر للرواة والنحاة . وفيها أيضاً تصوير للمجتمع العربى فى مختلف عصوره . والشيء الكثير من هذا هو من موضوعات المقامة ، ولكن المعرى عالجها فى طريقة مبتكرة . أما ما امتاز به فى رسالته وتفوق به على المقامة تفوقا محسوساً ، فذلك هو خياله الخصب الواسع من جهة ، وسخريته اللاذعة الخفية من جهة أخرى . فأى خيال أكبر من ذلك الذى يصور لنا الجحيم والجنة وما فيهما من عذاب ونعيم تصويراً رائعاً يملك على القارىء لبه . أما سخريته فى هذه الرسالة فقريبة الشبه بسخرية أناتول فرانس القصصى الفرنسى الشهير ، فكلاهما تهكم لاذع لا يشعر به إلا من قرأ ما بين السطور . ورسالة الغفران قصة تخيل فيها المعرى ذهاب رجل الى الجنة ورؤيته لجهنم ، وما شاهده فيهما من شعراء وأدباء ، وما جرى بينه وبينهم من محاورات فى الأدب والشعر واللغة ،

وما قابله في الجنة من أناس لم يكن ينتظر نزولهم بها، فسألهم: بم غفر الله لهم؟ فذكروا له فيما ذكروا أشعاراً قالوها فغفر الله لهم من أجلها، وكانت جوازهم إلى دار النعيم، لذلك سميت رسالة الغفران. وقد ذكرنا قبلا تماثل الفكرة بين رسالة المعرى وكوميدية دانتى الالهية، واحتمال تأثر الأخيرة بالأولى، كذلك يوجد تشابه بين موضوع المعرى وقصيدة ملتن الشاعر الانجليزى، المسماة «بالفردوس المفقود». وبهذه المناسبة نذكر أنه على أثر ازدياد صلة الغرب بالشرق تأثر الأدب الغربى بأدب العرب، وخصوصاً بكتابى ألف ليلة وكليلة ودمنة. فأقاصيص هانس اندرسن الدنمركى. ورحلات جلفر لسويفت الانجليزى، وسياحات جيل بلاس للوساج الفرنسى، وكتاب الغابة لروديارد كبلنغ، كلها تحمل شيئاً من روح القصة العربية

والآن وقد انتهينا من القصص العربية

الموضوعة سنتحدث عن القصص العربية المترجمة .
وأهمها اثنتان : ألف ليلة ، وكليلة ودمنة

أما كتاب ألف ليلة فيحتوى على ثلاث مجموعات مختلفة : المجموعة الأولى: كتاب ألف خرافة الفارسى المسمى (هزار أفسانه) ، وهو مجموعة قصص خرافية فارسية وهندية . وهذه المجموعة لحقها كثير من التغيير على يد النقلة والرواة ، فخرجت عن أصلها . والمجموعة الثانية : قصص كتبها على نمط القصص السابقة مؤلفون من العرب ، بعضهم من بغداد والآخرون من مصر . وقد اشترك بعض اليهود فى تاليف هذه المجموعة . والمجموعة الثالثة : ما جمعه أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء والكتاب ، من حكايات ونوادر للعرب والفرس والروم كانت تروى فى حفلات السمر والمنادمة .

هذه المجموعات الثلاث قد انصهرت فى

بوتقة الزمن ، وعلى يد النقلة والرواة ، حتى وصلت الينا فى كتاب واحد يكاد يكون له طابع واحد ، هو كتاب ألف ليلة . ولكن الناقد الخبير ، والباحث المدقق ، والمحلل اليقظ ، يستطيع أن يرجع كل قصة فى الكتاب الى أصلها . ولدينا وسيلتان تعيناننا فى هذا العمل ، هما : الأسلوب ، والخيال . فالقصص ذات الأسلوب العربى الفصيح تدلنا على أنها كتبت فى العصر الأول . حينما كانت اللغة خالية من شوائب العجمة . والقصص ذات الأسلوب الركيك ، تدلنا على العصر الذى كتبت فيه بعد ، فهناك الخيال الفارسى ، والخيال اليهودى ، والخيال العربى الصميم . وهلم جرا . ويلاحظ أن القصص الاسلامية الصرفة خالية من الخرافة . وهذا يؤيد النظرية التى أوردناها فى أول حديثنا ، وهى أن الأمة العربية لم تكن أمة أساطير

والكتاب من الناحية القصصية يعتبر من

كتب القصص العالمية . وقد ترجم الى معظم اللغات الحية . وهو فخر الأدب القصصى العربى بلامراء ، وأكثر قصصه مفعمة بالاخطار والأسرار ، مملوءة بالمشوقات، لايشعر القارىء لها بملل. وشهرتها العالمية تعود الى عاملين هامين ؛ هما : سعة الخيال وقوته . وبراعة الوصف فى رسم الشخصيات والبيئة . فنحن نشعر ونحن نقرؤها أننا نعيش حقاً فى تلك البيئة الشرقية الاسلامية ذات السحر العجيب ، نعاشر اهلها ونستمتع بأحلامها .

أما كتاب كليلة ودمنة ، فقد ترجمه عن الفارسية الكاتب البليغ عبد الله بن المقفع فى أسلوب من أبلغ الأساليب ، والكتاب أصله هندى وضعه بيدبا الفيلسوف رغبة منه فى اصلاح الملك دبشليم العاهل المستبد ، وجعل أقاصيصه على ألسنة الطيور والحيوان ، لاعتقاد البراهمة القديم بتناسخ الأرواح . ورمى فيه الى بث الموعظة والحكمة ،

والحث على الفضيلة ، والتنفير من الرذيلة



بهذا نختم حديثنا عن القصة العربية فى العهد القديم ، وليس أمامنا إلا كلمة عن القصة المصرية فى العهد الحديث

ليس من السهل أن يتصدى الناقد لمعالجة هذا الموضوع ، فالحكم على الزمن القريب محفوف دائما بالريبة وإن حسن فيه القصد ، إذ أن للبيئة التى نحيا فيها تأثيراً علينا يكاد يعمى بصائرنا عن إدراك الحقيقة . فالعهد الحديث يجب أن يترك لنقاد المستقبل يدرسونه فى تؤدة وروية ، وفى جو صالح يساعد على استجلاء الحقائق وتفهمها تفهماً نزيهاً . ولكن هذا لا يمنعنا من أن نلقى بكلمة عابرة فى هذا الموضوع . نستكمل بها حديثنا ، فنقول :

القصة المصرية لا يزيد عمرها عن الثلاثين عاما أو الأربعين ، فهى إذاً مازالت طفلة تحبو ، وميراثها

ميراث ضئيل، لا يعتد به اذا قارناه بتلك الثروة الضخمة التى ورثتها القصة الغربية الحديثة عن آدابها فى القرون الخالية . والقصة المصرية لها ثلاث مراحل، أو ثلاثة عهود. العهد الاول : عهد خضوع القصة لنفوذ الأدب العربى القديم . والثانى : العهد الذى حاولت فيه القصه التحرر من نفوذ الأدب العربى القديم والاتجاه نحو الأدب الغربى . والعهد الثالث : عهدنا الحاضر، وهو عهد خضوع القصة للأدب الغربى .

فالعهد الأول يقع فى أواخر عصر النهضة أو عصر إحياء اللغة العربية . وهو العصر الذى بدأه العاهلان العظيمان محمد على وإسماعيل . وقد جاء هذا العصر بعد أحقاب طويلة مظلمة عانت فيها اللغة ضعفاً وهواناً بالغين . وقد ظهرت المطبعة فى مصر قبل محمد على بقليل على يد البعثة الفرنسية وقت الاحتلال الفرنسى فكان لها شأن يذكر إبّان عصر

الاحياء، فانتشرت بواسطتها أمهات الكتب القديمة التى تداولتها الأيدى وأقبلت عليها النفوس الظامئة فى شغف عظيم، فكانت نتيجة ذلك أن ظهر أدب جديد، أدب حى: له كثير من مظاهر الاستقلال الذاتى، ولكنه كان مع ذلك خاضعا فى الحقيقة للنفوذ العربى القديم، وأئمة هذا العصر هم البارودى والبكرى والمويلحى ومن شابههم. وكان أخيرهم - المويلحى - أول من فكر فى القصة المصرية الحديثة، فألف كتاب حديث عيسى بن هشام. وبالرغم من تضلع المويلحى فى بعض اللغات الاوروبية وقيامه ببعض السياحات الهامة فى أوروبا. فقد ظلت ثقافته عربية صميمة، ولكننا نظلم المويلحى ونظلم عصره إذا جردناهما تجريداً تاما من النفوذ الغربى، فقد عملت البعوث العلمية عملها فى تقريب الثقافة الاوروبية الينا، ولكن تأثر الأدب بها ظل ضعيفا. فلما أخذ المويلحى يؤلف كتابه، وجه نفسه شطر المقامة فنسج

على منوالها ، إلا أن كتابه بزّ المقامة وتفوق عليها بمراحل كبيرة ، وان ظل دائما فى روحه « مقاميا » . لم يعن المويلحى فى كتابه بالقصة كما يجب أن تكون ، فلم يجعل لها وحدة مستقلة مترابطة الحوادث ، لها عقدة يصوغ موضوعه عليها . بل اهتم بالجانب الاستعراضى ، فأخذ يستعرض المناظر ، وينقد الأخلاق فى فكاهة مستحبة ، وأسلوب جذاب ، يفسده بعض الفساد قليل من السجع . ولعل أكبر معجزات هذا الكتاب أنه كان يعبر عن الذهنية المصرية والروح المصرية فى ذلك العهد ، ويعود هذا طبعا الى أن الشعور بالقومية المصرية كان قد بدأ يستيقظ .

تجىء بعد ذلك المرحلة الثانية فى تطور القصة المصرية الحديثة ، وهى المرحلة التى بدأت فيها القصة بالخروج من الدائرة التى رسمها لها الأدب العربى القديم ، وكان ذلك على أثر ازدياد اتصالنا بثقافة أوربا ، وازدياد هذا الاتصال يعود الى أمرين ، الأول : مركز مصر

السياسى، والثانى: ايماننا بحاجتنا الى المدنية الأوربية التى اعتبرناها مثلا للتقدم والنجاح، وكان على أثر هذا الاتصال المتزايد أن أخذ بعض أدبائنا ممن أتموا دراستهم فى أوربا وتشبعوا بالأدب الغربى يحاول التحرر من سيطرة النفوذ العربى الصميم، محتذيا فى ذلك الأدب الغربى. وكانت باكورة تلك الجهود ظهور رواية «زينب» للدكتور هيكل، وهى أول قصة مصرية توافرت فيها عناصر القصة الفنية

والى هنا تنتهى المرحلة الثانية، وتبدأ المرحلة الثالثة حينما أخذت موجة الغرب تطغى وتتزايد، فرأى القاص المصرى لزاما عليه أن يدرس القصص الغربى ويتعمق فى درسه، ليضمن لنفسه التفوق والنجاح فى فنه، ولم يكن فى ذلك بمخطىء، بل انه سار فى الطريق الطبيعى. فالقصة الغربية بلغت فى وقتنا هذا ارفع منزلة، ووسع ميدانها أعمق الابحاث وأخطرها. واكتسب قصاصوها عن جدارة وحق أكبر الألقاب، فصارت بطبيعة الحال الهدف الذى نرمى

اليه ،والمعين الذى نستقى منه .وعاشت القصة فى هذه البيئة لاتتنسم إلا نسيم أوزبا ، فاختنقت به .وكادت تتنكر لمواطنيها ،وأصبحت فى شكلها كالاوربى الذى يأتى الى الشرق فيرتدى الجبة والقفطان والعمامة ويسير فى أروقة الأزهر ،وهو يعتقد أنه انقلب الى شرقى صميم . ونسينا أن عمليه الهضم وتمثيل الغذاء ، ذلك الغذاء الأوربى الدسم خلاصة القرون الماضية يتطلب أعواما وأعواما حتى يتحول الى دم صالح يجرى فى عروقنا ، دم مصرى يغذى عقولنا ومن ثم نستطيع التعبير فى عقلية مصرية خالصة ، فهل دنا هذا الوقت؟ لامراء فى أننا على عتبة هذا العصر الجديد

وحسبنا أن يظهر فينا مثل طه حسين بكتابه الأيام، وتوفيق الحكيم بأهل الكهف وعودة الروح، حتى نعلم أن القصة اليوم تجارى سائر النهضات الأخرى ، فأخذت تتخلص من النفوذ الاوربى ، وتظهر لأبناء وطنها مستقلة تتبوأ مكانها فى الأدب العالمى .

موضوعات المحاضرة

ما ظهر من مؤلفات محمود تيمور :

الحاج شلبي وقصص أخرى

تولت طبعه ونشره لجنة التأليف والترجمة والنشر

أبو علي عامل أرتست مجموعة قصص مصرية

الأطلال رواية قصصية مذيلة ببعض أقاصيص

الشيخ عفا الله وقصص أخرى

(يصدر في شهر أبريل سنة ١٩٣٦)

الوثبة الأولى

يحتوى على المختار من قصص المؤلف التى ظهرت في مجموعاته الأربع الأولى : الشيخ جمعة . وعم متولى . والشيخ سيد العبيط . ورجب أفندى

(يصدر في عام ١٩٣٦)

قلب غانية وقصص أخرى

(يصدر في عام ١٩٣٧)

DATE DUE


JAFET LIB.
13 APR 2004
Circulation Dept.

JAFET LIB.
17 MAR 2004
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.
31 MAR 2004
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.
18 JUN 2005

JAFET LIB.
09 MAR 2005
Circulation Dept. 5

JAFET LIB.
02 FEB 2005
Circulation Dept. 2

